

## المحاضرة (8)

### الفصحى واللهجة: تطبيقات في التطور الصوتي

تعدّ التغيرات الصوتية من أبرز التغيرات اللغوية التي يلاحظها دارس اللغة أو اللهجات، ففي كل لغة ترتبط الأصوات ببعض ارتباطاً وثيقاً، فهي تُكوّن نظاماً متجانساً مغلقاً، تنسجم أجزاؤه كلّها فيما بينها، لأن اللغة لا تتكوّن من أصوات منعزلة، بل من نظام من الأصوات<sup>1</sup>.

وداخل هذا النظام اللغوي المنسجم، تحدث تغيرات صوتية، تختلف باختلاف وضعية الناطقين والظروف المحيطة بهم، فتنشأ بمرور الزمن أصوات جديدة داخل الكلمة، تحتلّ مكان الأصوات القديمة بسبب كثرة الاستعمال.

ويعتبر التطور الصوتي أحد الآليات التي يتغير بها شكل اللفظ عبر الزمن، وقد ارتبط هذا التغير باللهجات العربية، سواء في القدم أم في الحديث، يقول إبراهيم أنيس: "أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يميز بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان"<sup>2</sup>.

ويقول عن الإبدال الذي سببه تباين اللهجات العربية القديمة: "حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي، أي: إن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل، والأخرى فرع لها أو

<sup>1</sup> - اللغة، جوزيف فنديس، ص: 62.

<sup>2</sup> - في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 17.

تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه"<sup>1</sup>.

والتطور الصوتي داخل الكلمة يحدث نتيجة تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أثناء التأليف الصوتي، فقد يحدث في الكلام "أن تجتمع أصوات الانسجام فيما بينها، بحيث يشعر المتكلم بثقلها على لسانه، أو يجد عسراً في تحقيقها، فيهرب من ذلك بتبديل بعض الأصوات ببعض، أو بتعديل بعض صفات الأصوات لتوفير الانسجام"<sup>2</sup>. وهذه بعض مظاهر التغيرات الصوتية في اللهجة:

### 1-الإبدال:

وهو ظاهرة صوتية عرفت في اللغة العربية، وظهر واضحاً في لهجاتها قديماً وحديثاً؛ يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون مَدَحَه، ومدَّهه، وفرس رِفْلٌ. ورفنٌ"<sup>3</sup>، وهو كثير مشهور قد أَلَّفَ فيه العلماء"<sup>4</sup>.

### ومن أمثلة الإبدال في اللهجة:

أ-الفعل(فَعَمَزَ): ويدل في اللهجة على الجلوس؛ فحين يقول أحدهم لآخر: (فَعَمَزَ)، فالمقصود: اجلس.

وهذا الفعل لا وجود له في المعاجم، وإنما يوجد فعل (فَعَمَزَ)، وهو فعل يدل على الجلوس؛ قال الزبيدي: "قعفز الرجل: جلس جلسة المحتبي، ضاماً ركبتيه وفخذيته"<sup>5</sup>، وهم يقولون: جلس القَعْفَزَى: وهي جلسة المَسْتَوْفَز، وقد أَعْفَنَزَ"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1966، ص59.

<sup>2</sup> - الوجيز في اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، ط3، ص270.

<sup>3</sup> - الرفن: الطويل الذنب من الخيل.

<sup>4</sup> - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ص: 154.

<sup>5</sup> - تاج العروس، 15 / 284.

<sup>6</sup> - لسان العرب، 5 / 395.

فالفعل (قَعَفَزَ) يدل على الجلوس، واللهجة تستعمل الفعل (قَعَمَزَ)، مما يدل على أن هناك إبدالا صوتيا حدث بين الفاء والميم، وهذا يقع كثيرا عند العرب.

ب- كلمة (عَزْلُوكُ): تعني عند البعض الشخص القوي، وقد تعني عند آخرين الشخص السمين، وقد تعني عند غيرهم الشخص الذي كبر وتجاوز مرحلة الصبا... وكل هذه المعاني يجمعها رابط القوة.

وهذا الكلمة لم تُذكر في معاجم اللغة؛ وإنما ذكرت كلمة (صعلوك)، وتعني في اللغة الفقير الذي لا مال له<sup>1</sup>، وقد تغيرت دلالة هذا المصطلح، بحيث أصبحت تدل على من يمتهن الغزو والسلب والنهب؛ قال ابن منظور: "يقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذوبان<sup>2</sup>، لأنهم كالذئب... وذوبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون"<sup>3</sup>. وهكذا فقد صارت كلمة صعلوك تعني كل من يستعمل القوة ليرهب الناس ويسطو على أموالهم.

ويبدو أن كلمة (عزلوك) هي نفسها كلمة (صعلوك)، وقد حدث فيها تغييران صوتيان؛ أما الأول: فهو القلب المكاني، حيث تغير ترتيب بعض الأصوات في الكلمة، فانقلبت من (صعلوك) إلى (عصلوك) بالصاد.

وأما الثاني: فقد حدث فيها إبدال الصاد زايًا، وهما صوتان يتبادلان كثيرا، فصارت (عزلوك).

وهكذا فقد تغيرت هذه الكلمة من صعلوك إلى عَزْلُوكُ، وظلت تحتفظ بمعنى القوة، سواء استعملها صاحبها في السرقة والسطو، كما يفعل الصعاليك، أم لم يستعملها.

<sup>1</sup> - ينظر: لسان العرب، 10 / 455.

<sup>2</sup> - الأصل في ذوبان الهمز، ولكنّه خَفَفَ، فانقلبت واوا. ينظر: لسان العرب، 1 / 378.

<sup>3</sup> - لسان العرب، 1 / 377، 378.

## 2- القلب المكاني:

وهو العملية التي يتم فيها إبدال مواقع الأصوات في الكلمة، فيتغيّر تركيبها بتغيير أصواتها، مع احتفاظ الكلمة بمعناها. وقد عرف العرب هذه الظاهرة وسمّوها القلب، يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب القلب" ثم يتحدث عن القلب في الكلمة، فيقول: "فأمّا الكلمة فقولهم: (جَدَبٌ، وجَبَدٌ) و(بكل، ولَبِكٌ)<sup>1</sup>، وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة"<sup>2</sup>. وفي لهجة سوف وغيرها من اللهجات كثير من الألفاظ التي حدث بها قلب مكاني، فتبادلت بعض الأصوات مكانها داخل الكلمة، ومن ذلك:

أ- كلمة (الصَيْشُ): وتطلق في اللهجة على البُسْر الذي لم يُلّحّح، وهذا اللفظ موجود في العربية، لكنه بشكل آخر؛ فالعرب تقول: الشَّيْص للْبُسْر الرديء الذي لا يشتدّ نواه<sup>3</sup>، وقد حدث في هذه الكلمة قلب مكاني، فصارت كلمة شَيْص صَيْشا في اللهجة.

ب- فعل (بَحَلَقُ): ويدل في اللهجة على تدقيق النظر؛ فحين يقال: فلان (أَبْحَلَقُ) يعني يركّز النظر على شيء ما.

وهذا المعنى لم تذكره معاجم اللغة لهذا الفعل، وإنما ذكرته لفعل آخر هو (حَمَلَقُ)؛ قال ابن فارس: "حَمَلَقُ، إذا فتح عينه ونظر نظرا شديدا"<sup>4</sup>، وهو المعنى ذاته لكلمة (بَحَلَقُ) في اللهجة.

ويبدو أن اللهجة استثقلت فعل (حَمَلَقُ)، لأنه يُفتتح بصوت حلقي بعيد، هو الحاء، ويُجتمِع بصوت قوي، تحاشته اللهجات بتغييرات كثيرة<sup>5</sup>، هو القاف الذي تجتمع فيه عدد من صفات القوة، كالجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة. وقد فضّلت اللهجة فعل (بَحَلَقُ) لأنه أخف منه، وقد تم الانتقال من (حَمَلَقُ) إلى (بَحَلَقُ) عبر تغييرين، هما إبدال وقلب؛ وذلك

<sup>1</sup> - معناهما: اختلط.

<sup>2</sup> - الصاحبي، ص 153.

<sup>3</sup> - تاج العروس، 22/18.

<sup>4</sup> - معجم مقاييس اللغة، 147/2.

<sup>5</sup> - ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التوب، ص 9.

بإبدال الميم بباء، فصارت حَبْلُق، ثمّ حدث القلب، فتحولت الباء إلى أول الكلمة، فصارت (بَحْلُق).

### 3- التطور الصوتي بين كلمتين:

وقد ظهر هذا فيما عرف بالنّحت، والعرب تنحت من كلمتين كلمةً واحدة، كقولهم: رجل عَبْشَمِيّ، وهي كلمة منحوتة من كلمتين هما: عبد شمس<sup>1</sup>.

#### ومن أمثلة النحت في اللهجة:

فعل (سَعَسَق): وهو يدل في اللهجة على كثرة السّير والانتقال من مكان إلى مكان. وهذه الكلمة لا وجود لها في معاجم اللغة، ولعلها منحوتة من كلمتي (سعى سعى)، أي أكثر السعي والحركة؛ وفعل سعى في العربية يدل على المشي أو المشي بسرعة<sup>2</sup>، فحين يقال: فلان يسعى، أي: يمشي، فإذا قيل: (سعى سعى)، فالمعنى يتحرك ويمشي كثيرا، وفيها دلالة على المشي السريع.

ويبدو أن الكلمة المنحوتة أولاً هي (سَعَسَى)، ثم عوّضوا الألف الأخيرة بالقاف، لتكون الكلمة أشد تمكنا في النطق وأقوى ارتكازا، فقالوا: (سَعَسَق)<sup>3</sup>. وهكذا فإن اللغة ولهجاتها تنمو وتتطور عبر مراحل حياتها، وذلك يعود إلى أسباب تاريخية، ونفسية، واجتماعية... وغيرها.

<sup>1</sup> - ينظر: الصاحي في فقه اللغة، ص209.

<sup>2</sup> - تاج العروس، 38/279.

<sup>3</sup> - ينظر: معجم الفصيح في لهجو وادي سوف، 1/113.